أول أبجدية عمانية

(خـــط الـــســـتـــن)

حارث بن سيف بن حارث الخروصي

كنت قد قضيت سنوات في اهتمامي بالفنون الصخرية توثيقا و كتابة ومحاولة لفهم ما كان يرمي له الإنسان القديم، في منطقة تعد جزءاً مهمًّا من تاريخ العالم حيث مصدر النحاس للعالم القديم، و حيث القبور تشمخ على رؤوس الهضاب.

في أحد شتاءات عام ٢٠٠٩ ميلادية، أقرر برفقة شخصين التوجه في رحلة في المناطق الجبلية حيث الرسومات الصخرية التي تنتشر بكثرة، شدنا كثيرا ما كتبه الإنسان القديم وما رسمه، إنها جبال الحجر ليست مجرد صخور بل انها إرث إنساني ومخزون ثقافي للانسان القديم وسجل إنساني ربما لم يصل الانسان الحالي إلى مكنوناته وحقيقته.

في وادي السحتن وعندما كنا نتصفح ضفتي الوادي ونتعجب لوهلة أو لبرهة من ما كتبه الإنسان القديم أو ما رسمه إذ ظهرت لنا جليا أحرفا غريبة ثم ما لبثنا حتى رأينا غيرها وغيرها، كان جليا أن الإنسان القديم كتب شيئا هاما على الصخور.

تواصلت مع الدكتور عبدالله بن ناصر الحراصي الذي كان مسؤولا عن مشروع الموسوعة العمانية و كنت مساهما فيها ببعض المداخل، كان الدكتور مهتما كثيرا بهذا الاكتشاف، ليصلني بعد فترة اتصال من الدكتورة أسمهان الجرو المختصة بالتاريخ القديم و التي كانت تحاول جاهدة أن تفك جزءاً من شفرات الكتابة القديمة التي لم تطابق خط المسند بكافة انواعه رغم تقاطعه مع خط المسند في عدد من الأحرف القليلة.

انتقلت الى الموقع عدة مرات ووثقت الكتابات من الصخور

مباشرة، ورأيت بعض الحروف القديمة التي تشابهت مع كتابات السحتن في وادي بني عوف ووادي بني خروص القريبين من الموقع.

أخذ الموقع بعض الاهتمام خاص بعد الشروع بإنشاء طريق وادي السحتن، هذا الموقع الهام الذي يمثل نقلة كبيرة لفهم التاريخ العماني والأمم التي عاشت على هذه الأرض، لكن خط السحتن لم يحظ بالاهتمام المناسب مثله مثل الكثير من الكتابات الصخرية في الجزيرة العربية التي لا تقل أهمية عن الكتابات المكتشفة في بلاد ما بين النهرين أو مصر القديمة، وإذا أردنا ان نفصل الواقع أكثر فإن العارفين بالكتابات العربية القديمة الثمودية والمسندية لا يكاد يتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين إذا ما بالغنا في التفاؤل، و لم تحظ تلك الكتابات الممتدة في الجزيرة العربية بذلك الزخم الإعلامي والاهتمام الرسمي والشعبي اللائق بها.

كنت قد أشرت الى هذا الاكتشاف في كتابي (بين التاريخ والآثار والجيولوجيا) الصادر في عام ٢٠١٠ ميلادية، كما لم أوفر جهدا في الإشارة لتلك المكتشفات متى ما سنحت الفرصة فالأمل يراود القلب بأن تفك شرفات تلك الرموز .

مرت السنوات وأنا أراقب الموقع من بعد عسى أن يتمكن الخبراء الأجانب من الوصول الى فك شفرات أول أبجدية عمانية، فالأجانب قد يكون لهم الحظ الأوفر من الإهتمام الرسمي والشعبي على حساب الباحث الوطني وهذا قدرنا في النهاية والهدف الأسمى هو الوصول الى المعرفة.

قضيت تلك الفترة في التفكير العميق والنظر إلى قصاصات الورق التي نقلتها من الصخور وبعض الصور وقرأت بعض المؤلفات التي قام بها عدد من الباحثين في الجزيرة العربية حول الكتابات القديمة ولا سيما الدكتور سليمان بن علي الذييب الذي يعد بلا مجاملة الرائد الأول في علم الكتابات القديمة في الجزيرة العربية وله الباع الأطول في هذا الجانب. ورغم أني المكتشف الأول لكثير من تلك الكتابات إلا أني فضلت أن أراقب عن بعد بعض الندوات التي لم أدع اليها، والتي قام بها بعض الباحثين الألمان فأنا لست أجنبيا، ولا أحمل شهادة دكتوراه في التاريخ أو الآثار.. كل ما

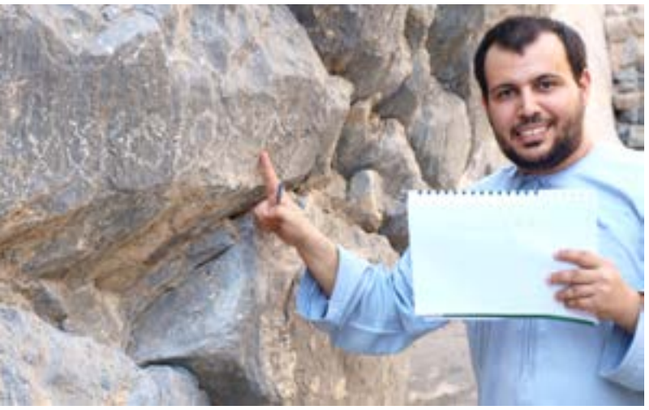

أحمله هو هاجس يذكرني دوما بالأسلاف، وما أنا إلا حفيد لتلك الأمة التي كتبت تلك العبارات.

بعد سنوات قررت أن ايقظ الهمة وأن أزيح غبار الزمن عن تلك الأبحدية التي تعد أول أبجدية عمانية والتي قد تغيّر الكثير من المعتقدات حول التاريخ العماني، بل و تاريخ المنطقة، كون الشواهد الأثرية هي الشاهد الأبرز والأقوى عن مراحل التاريخ، في هذه السطور القادمة قد اغيّر دفة الكتابة من الجانب العلمي المطرز بالجوانب الأدبية الى الجانب العلمي البحت ليتمكن القارئ من فهم الكثير حول تلك الكتابات الصخرية وهنا أشير بإصبعي إلى الأجيال القادمة التي نعول عليها الكثير.

■ الخطوط العربية القديمة

قد تتعجب أيها القارئ الكريم أن بداية هذا الخط الذي أكتب به الآن لم يكن موجودا قبل الإسلام أو ولادة النبي صلى الله عليه وسلم على الأكثر، هذا هو رأي علماء الآثار من خلال النقوشات الصخرية المنتشرة في الجزيرة العربية ولعل أحد أسباب انتشار هذا الخط العربي الذي أكتب به هذا المقال هو انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، فالخط الحالي الذي ولد من خط الجزم الذي بدوره إما أن يكون ولد من الخط السرياني أو الخط الآرامي أو الاثنين معا، إن

انتشار خط الجزم قد أدى إلى اندثار الخطوط القديمة في الجزيرة العربية، أما ما ذكرته الأدبيات العربية القديمة عن أصل خط الجزم فلا دليل أثري أو علمي أو منطقي عليه ولذلك أتجنب الإشارة اليها.

و في الجزيرة العربية وجدت عدة أنواع من الخطوط العربية هي خط المسند و اللحياني والصفائي (الصفوي) والثمودي (القديم والوسيط والأحدث) وربما وجدت غيرها من الخطوط التي انبرى بعض العلماء في تحليلها ومحاولة فكّ رموزها، في عمان تعتبر الخطوط العربية القديمة والخطوط القديمة شديدة الندرة ولم يتم التعرف على غير الخطوط الموجودة في وادي السحتن رغم مشاهدتي بعض الأحرف في وادي بني عوف و وادي بني خروص، إلا أن موقع وادي السحتن يضم عددا لا بأس به من أبجدية خط السحتن مما يجعله مكانا استثنائيا بامتياز.

خط السحتن

خط السحتن يوجد في وادي السحتن في الحجر الشرقي من عمان، ووادي السحتن كان مكانا مهما وطريقا للقوافل القادمة من البحر التي تعبر الأودية باتجاه المناطق الداخلية في عمان والتي كانت الطرق التجارية القديمة توصلها عبر الصحراء إلى منطقة هيت في قلب الجزيرة العربية والممالك التي وجدت في وادي الدواسر والفاو وغيرها ومنها الى تهامة والحجاز والبحرين والعراق وبلاد الشام ومنها إلى مناطق أخرى في العالم القديم والعكس.

وادي السحتن الذي كان غزيرا بالمياه ولا يزال، ويحيط بحوضه العديد من ممرات القوافل القديمة منها طريق جبل السراة الذي يجثم في غرب حوض وادي السحتن، والملاصق لجبل الكور، وجبل الشمس الذي يعد أعلى قمة في عمان بارتفاع ٣٠١٧ متراً فوق سطح البحر، وطريق وادي بني عوف الذي يعد كذلك طريقا مهما للغاية للقوافل القديمة، والذي بدوره يرتبط بطريق وادي بني خروص الذي يرتبط بدوره بطريق حوض وادي مستل الذي يرتبط بدوره بطريق وادي سمائل، إنها شبكة طرق طبيعية متصلة بعضها ببعض، كما انها تصل الساحل بالداخل والعكس، إنها طرق ربطت العالم القديم، نقلت البضائع و الثقافات في العالم القديم من النحاس الذي كان يصهر في عمان والعاج المستورد من افريقيا و الهند والياقوت الهندي الأحمر الذي عثر عليه في المدافن القديمة في عمان و ما لا نعلم من بضائع و طلاسم العالم القديم.

والموقع الذي توجد به خطوط السحتن يسمى (فسح) أو (فشح) والحقيقة أن السين والشين في وسط الكلمة هو حرف سامخ (وهو حرف بين السين والشين ما زال يستخدم في اللهجات العربية الجنوبية المهرية والشحرية) وبالمناسبة فإن إسم هذه القرية (فسح) أو (فشح) اسم علم قادم من العالم القديم، الموقع يقع على مضيق و تنتشر به الرسومات الصخرية المختلفة التي تعود الى عصور قديمة والقليل من الكتابات العربية الأحدث، كما أنه تم انشاء سد في الموقع من مادة الصاروج في دولة اليعاربة ما يزال جزء بسيط منه موجودا الى اليوم.

التسمية

تسمية السحتن جاءت من اسم الوادي الذي تقع فيه تلك الكتابات التي أدرجناها من ضمن الأبجدية العمانية، وأما تسمية الأبجدية العمانية لأنها منفردة عن باقي الأبجديات التي تمت دراستها في الجزيرة العربية، وبالتالي فإن الأبجدية العمانية هي الأحدث اكتشافا ودراسة في الجزيرة العربية وتعد جزءاً من منظومة الأبجديات العربية في الجزيرة العربية.

عمر تلك الكتابات

لا سبيل لمعرفة عمر تلك الكتابات بوسائل مثل التحليل الكربوني أو سواها لذلك يبقى السبيل الأوحد هو مقارنتها بالكتابات والابجديات الأخرى ومنه توصلنا إلى أن عمر أبجدية السحتن من الألف الثالثة الى الألف الأولى قبل الميلاد وذلك بمقارنتها بالأبجديات الثمودية المكتشفة في الجزيرة العربية حيث تقاطعت أبجدية خط السحتن مع كثير من سمات الأبجدية الثمودة الوسطى (فقد صنفت الأبجديات الثمودة الى ثلاثة أقسام قديمة و وسطى وأحدث).

نمط الكتابة و اتجاهها

في كل الكتابات المكتشفة في خط السحتن (أبجدية السحتن) كانت كل الكتابات تبدأ من اليسار الى اليمين وذلك قد يكون له دلالة على التنظيم أكثر من كثير من الخطوط والأبجديات المكتشفة في الجزيرة العربية وقد تكتب من اليمين الى اليسار او العكس أو من أعلى الى أسفل أو العكس، فأبجدية السحتن ظهرت بأكثر تنظيم من خلال توحد النمط، بينما يتضح في الخط رقم (سحتن ٦) و جود ثلاثة أسطر ويعد هذا الخط أجمل الخطوط و أكثرها وضوحا وتنظيما.

و من خلال دراسة شاملة للموقع يتضح أن الكتابات قد كتبت في فترات مختلفة بواسطة أشخاص مختلفين ومن الصعب تحديد ايها أقدم من الأخرى، بينما تظهر كتابات (أبجدية السحتن) بجهد و حرفية أعلى من كتابات أخرى.

طريقة البحث

تم ترقيم الخطوط الى ارقام تحمل رمز (سحتن) وترقيم تلك الخطوط واستنباط كل سمة من كل خط وأيضا الأحرف في كل خط ومقارنتها بالأبجديات المكتشفة في الجزيرة العربية.

الخط (سحتن ١): يتكون هذا الخط من ١٢ حرفا تكرر الحرف الأول (ظ) مرتين بينما تكرر الحرف الثالث (ص) ثلاث مرات، و اتجاه كتابة هذا الخط من اليسار الى اليمين.

الخط (سحتن): يتكون هذا الخط من أربعة أحرف الحرف الاول و الثالث لا يوجد ما يطابقهما في الأبجديات القديمة.

ومن خلال معاينة (سحتن ١) و (سحتن ٢) من المحتمل أن يكون هذان الخطان خطا واحدا، وذلك بسبب تناسق حجم الأحرف في الخطين ، لكن يتضح اختلاف بسيط في خندق الكتابة (**engraving**)، ونلفت انتباه القارىء الى أن الكتابة على الصخور تختلف عن الكتابة المعهودة على

الورق فصفحة الكتابة على الصخور قد لا تكون مستوية كذلك صلابة الصخور في الموقع الواحد، كما تتعرض هذه الكتابات أو حتى الكتابة الواحدة لعمليات تعرية تختلف شدتها، فالأماكن التي تميل نحو السماء تكون معرضة أكثر لحبات المطر بينما تكون الكتابات في الأماكن الأكثر تعامدا على السماء أقل عرضة في العادة.

الخط (سحتن ٣): يتكون هذا الخط من تسعة أحرف.

الخط (سحتن ٤): يتكون هذا الخط من أربعة أحرف ويظهر فيه رسم لمحارب يحمل سيفا وترسا ورسما لحيوان قد يكون كلبا أو ثعلبا ونلاحظ اشتراك الرسم مع الكتابة سعيا لإيصال الرسالة من قبل الكاتب القديم، وقد ظهر هذا النمط من وجود تصوير بالاشتراك مع الحروف في عدد من الابجديات العربية الاخرى خاصة الثمودية.

ملاحظة : الخطان (سحتن ٣) و (سحتن ٤) هما قريبان من بعضهما قد يشتركان في موضوع واحد كما أن حجم الحروف وسمة الكتابة تدل على أن الشخص الذي كتب الخطين هو شخص واحد، كما يلاحظ و جود رسم لمقاتل وحيوان قد يكون كلبا أو ثعلبا و هذا الرسم له دلالة تتعلق بموضوع الكتابة.

الخط (سحتن ٥): يتكون من ٤ أحرف فقط ويلاحظ رسم لحيوان بالقرب من الخط تتعلق بالتوضيح ودليل على أن الإنسان القديم انتقل من مرحلة التعبير بالرسم الى مرحلة مشتركة التعبير بالرسم و الكتابة بالحرف، و الاحرف هي عبارة عن رموز تعارف مجموعة من البشر على أنها تحمل صوتا معينا ، و هذا تطور كبير في التاريخ البشري.

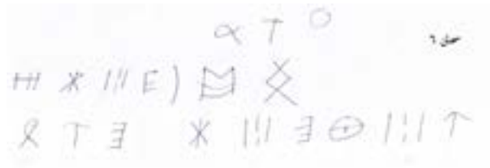

الخط (سحتن ٦): يعتبر هذا الخط أجمل الخطوط و أكثرها وضوحا وتنظيما وتنسيقا، يحوي هذ الخط ١٩ حرفا في ثلاثة خطوط ربما الحق الخط الاول من قبل الكاتب او بواسطة كاتب آخر يحوي هذا الخط ربما بسبب كثرة حروفه حروفا لم ترد في الخطوط الاخرى مثل حرف (غ) وحرف (ح)

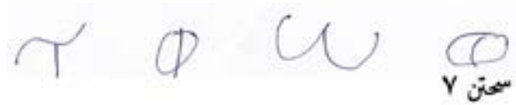

الخط (سحتن ٧): يتكون هذا الخط من أربعة أحرف وفي الحرف الثالث (–) لم يرد في الخطوط الأخرى و لم يمكننا التعرف على الحرف المرادف له في اللغة العربية الحالية.

المقارنة :–

بدت الخطوط مقاربة للخطوط الثمودية الوسطى (ملاحظة: الخطوط الثمودية لا يشترط ان تكون للأقوام الثمودية بل هو اصطلاح يطلق على الخطوط المكتشفة في الجزيرة العربية خاصة في منطقة جبة بالقرب من مدينة حائل) ولكنها لا تشبهها بالمطلق كما بدت الخطوط غير مشابهة لنمط خطوط المسند إلا في بعض الأحرف مثل حرف (سامخ) وعليه فان الاستنباطات للأحرف قد حاولنا قدر الامكان مطابقتها مع الأحرف العربية المستخدمة اليوم، مفسحين المجال أمام الدراسات المستقبلية مسلطين الضوء على جانب مهم من التاريخ العماني وهو جانب الفن الصخري الذي يعد أحد الآثار والشواهد الحضارية للإنسان القديم.

الحظ: العظيم

حسن الطروشي

(١)

وَمَا يُلَقاهَا إِلا الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقاهَا إِلا ذُو حَظ عَظِيمٍ
(الآية ٣٥ / سورة فصلت)

(٢)

أنا العاشق السيء الحظ
لا أستطيع الذهاب إليك،
ولا أستطيع الرجوع إلي...

محمود درويش

(٣)

منذ أن يفتح الكائن عينيه على فضاء هذا العالم الغامض، تشرع أمامه أبواب السؤال التي تمتد من السماء إلى الأرض.. الإنسان معني بوجوده وحياته ومستقبله وسط انقلابات هذا الوجود الهادر.. إنها أسئلة عويصة وعالم مملوء بالألغاز والحيرة.. يبحث الإنسان في النبوءات.. يبتكر المعجزات.. يلجأ للكهانة وقراءة الطوالع التي كثيرا ما تخونه.. يكرر أسئلته لمعرفة حظه في الحياة.. أهو شقي أم سعيد؟!

(٤)

لمعرفة الحظ لجأ الإنسان إلى قراءة الكف، وقد قسم المختصون الكف إلى أربعة خطوط وفقًا لحسابات الحظ وهي خط الحياة، وخط العقل، وخط العاطفة، وخط الحظ.

لوحة للفنان موسى عمر

تقول الكاتبة لينا هويان الحسن: (من الصعب أن نجزم بأن الخطوط التي تصنع خريطة كف كل منا هي خطوط حيادية ونقية من نبوءة ما أو قدر ما.. والأصعب التوصل إلى إدراك القوانين والمنطقيات التي تسوغ الاعتقاد بها.. ومغزاها.. جدواها).

ومع قراءة الكف هناك وسائل أخرى يقرؤها الكهان والمشعوذون والعرافون لكشف أسرار الحظ الغامضة منها قراءة الفنجان، وبقع الحبر، وكرة الكريستال، ورَمْي الوَدَع، وغيرها من الأساليب التي لا تخلو من دهشة وطرافة.